

تفسير ابن كثير

قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير وأبو صالح وأبو الضحى والسدي { والنازعات غرقا } الملائكة يعنون حين تنزع أرواح بني آدم فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط وهو قوله : { والناشطات نشطا } قاله ابن عباس وعن ابن عباس { والنازعات } هي أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار رواه ابن أبي حاتم وقال مجاهد { والنازعات غرقا } الموت وقال الحسن وقتادة { والنازعات غرقا * والناشطات نشطا } هي النجوم وقال عطاء بن أبي رباح في قوله تعالى : { والنازعات } { والناشطات } هي القسي في القتال والصحيح الأول وعليه الأكثر وأما قوله تعالى : { والسابحات سبحا } فقال ابن مسعود : هي الملائكة وروي عن علي ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح مثل ذلك وعن مجاهد { والسابحات سبحا } الموت وقال قتادة : هي النجوم وقال عطاء بن أبي رباح هي السفن .

وقوله تعالى : { فالسابقات سبقا } روي عن علي ومسروق ومجاهد وأبي صالح والحسن البصري يعني الملائكة قال الحسن : سبقت إلى الإيمان والتصديق به وعن مجاهد : الموت وقال قتادة : هي النجوم وقال عطاء : هي الخيل في سبيل الله وقوله تعالى : { فالمدبرات أمرا } قال علي ومجاهد وعطاء وأبو صالح والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي : هي الملائكة زاد الحسن : تدبر الأمر من السماء إلى الأرض يعني بأمر ربها D ولم يختلفوا في هذا ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيء من ذلك إلا أنه حكى في المدبرات أمرا أنها الملائكة ولا أثبت ولا نفي وقوله تعالى : { يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة } قال ابن عباس : هما النفختان الأولى والثانية وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغير واحد وعن مجاهد : أما الأولى وهي قوله جل وعلا : { يوم ترجف الراجفة } فكقوله جلت عظمتة : { يوم ترجف الأرض والجبال } والثانية وهي الرادفة فهي كقوله { وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة } وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقال عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال رجل : يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك قال : إذا يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك] وقد روى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري بإسناده مثله ولفظ الترمذي وابن أبي حاتم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : [يا أيها الناس اذكروا الله جاء الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه] .

وقوله تعالى : { فلوب يومئذ واجفة } قال ابن عباس : يعني خائفة وكذا قال مجاهد وقتادة { أبصارها خاشعة } أي أبصار أصحابها وإنما أضيف إليها للملابسة أي ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال وقوله تعالى : { يقولون إنا لمردودون في الحافرة } يعني مشركي قريش ومن قال بقولهم في إنكار المعاد يستبعدون وقوع البعث بعد المصير إلى الحافرة وهي القبور قاله مجاهد وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها ولهذا قالوا : { إذا كنا عظاما نخرة } وقرء ناخرة وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة : أي بالية قال ابن عباس : وهو العظم إذا بلي ودخلت الريح فيه { قالوا تلك إذا كرة خاسرة } وعن ابن عباس ومحمد بن كعب وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي مالك والسدي وقتادة : الحافرة الحياة بعد الموت وقال ابن زيد : الحافرة النار وما أكثر أسماءها ! هي النار والجحيم وسقر وجهنم والهاوية والحافرة ولطى والحطمة وأما قولهم : { تلك إذا كرة خاسرة } فقال محمد بن كعب : قالت قريش لئن أحيانا □ بعد أن نموت لنخسرن قال □ تعالى : { فإنما هي زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة } أي فإنما هو أمر من □ لا مثنوية فيه ولا تأكيد فإذا الناس قيام ينظرون وهو أن يأمر □ تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث فإذا الأولون والآخرين قيام بين يدي الرب D ينظرون كما قال تعالى : { وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر } وقال تعالى : { وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب } .

قال مجاهد : { فإنما هي زجرة واحدة } صيحة واحدة وقال إبراهيم التيمي : أشد ما يكون الرب D غضبا على خلقه يوم يبعثهم وقال الحسن البصري : زجرة من الغضب وقال أبو مالك والربيع بن أنس : زجرة واحدة هي النفخة الآخرة وقوله تعالى : { فإذا هم بالساهرة } قال ابن عباس : الساهرة الأرض كلها وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وأبو صالح وقال عكرمة والحسن والضحاك وابن زيد : الساهرة وجه الأرض وقال مجاهد : كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها قال والساهرة المكان المستوي وقال الثوري : الساهرة أرض الشام وقال عثمان بن أبي العاتكة : الساهرة أرض بيت المقدس وقال وهب بن منبه : الساهرة جبل إلى جانب بيت المقدس وقال قتادة أيضا : الساهرة جهنم وهذه أقوال كلها غريبة والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين حدثنا حزر بن المبارك الشيخ الصالح حدثنا بشر بن السري حدثنا مصعب بن ثابت عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي { فإذا هم بالساهرة } قال : أرض بيضاء عفراء خالية كالخبزة النقي وقال الربيع بن أنس : { فإذا هم بالساهرة } يقول □ D : { يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا □ الواحد القهار } ويقول تعالى : { ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا * فيذرها قاعا صفصفا * لا ترى فيها عوجا ولا أمماتا } وقال تعالى : { ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة } وبرزت الأرض

التي عليها الجبال وهي لا تعد من هذه الأرض وهي أرض لم يعمل عليها خطيئة ولم يهرق عليها

دم